المطران روبير ربّاط

بنعمةِ الله

مطران الرّوم الملكيّينَ الكاثوليك في أستراليا ونيوزيلندا

إلى الكهنةِ والشمامسة، زملائي خَدَمِ المذبح

ورهبانِ وراهباتِ ومؤمني أبرشيتِنا المبارَكة

محبوبي المسيح

رسالةٌ رعويَّةٌ بمناسبةِ عيد ميلاد رّبنا وإلهنا ومخلّصنا، يسوع المسيح، 2018

المسيحُ وُلِد، فَمَجِّدُوه !Christ is born! Glorify Him! Χριστός γεννάται! Δοξάσατε

نعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (2 كورنثوس 1: 2)

في حوارنا معَ الله، وفي محادثتنا عنه، نصبحُ واعين لبعدَينِ يبدو أنّهما متناقضانِ ومختلفان. فاللهُ الذي هوَ فوقَ كلِّ شيء، ويصعبُ علينا إمكانيّةَ تخيّله، هو أيضًا أقربُ إلينا منَ الهواءِ الذي نتنفّسه.

هذا ليسَ تناقضًا غريبًا لخبرتنا الروحيَّة. ففي الكلمةِ التي تحدّثَ بها اللهُ إلى النبيِّ أشعيا، يقولُ عنْ نفسه: "أفكاري ليستْ أفكاركم، وطرقُكمْ ليستْ طرقِي" (أشعيا 55: 8-9)، وعنِ الله، يقولُ الملكُ سليمان: "... حتَّى السماوات لا تسعُه" (2أخبار 2: 6).

لمْ يشغلْ تحديدُ اللهِ وقربُهُ الشاملُ من الانسانِ بعضَ الفلاسفةِ اليونانيينَ فقط، خصوصًا في القرنِ الخامسِ قبلَ المسيح، بلْ كانَ حاضراً كمعرفةٍ مؤقّتةٍ حتّى في الإيمانِ القديمِ بتعدّدِ الآلهة.

فيْ زمنِ الخروجِ، حذّرَ اللهُ موسى قائلا: "لا يُمكنكَ أنْ ترى وجهي، لأنّهُ لا أحدْ يستطيعُ أنْ يراني ويعيش" (خروج 33: 20). وهكذا، سُمحَ لموسى بمشاهدةِ المجدَ فقطْ عندما مرَّ الله. إنَّ تجربةَ الخروجِ بأكملها هيَ واحدةٌ منَ القوّةِ المتسامية. "وَأَخْرَجْتَ شَعْبَكَ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ، وَبِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَمَخَافَةٍ عَظِيمَةٍ" (إرميا 32:21).

لكنَّ النبيَّ إيليّا أُعطيَ لهُ أنْ يعرفَ صوتَ اللهِ فيْ النسيمِ اللطيف (1ملوك 19:12)، وإلهُ الخروجِ يُمكنُ أنْ يقول: "كَإِنْسَانٍ تُعَزِّيهِ أُمُّهُ هكَذَا أُعَزِّيكُمْ أَنَا" (أشعيا 66: 13).

بالنسبةِ للكثيرين، يمثِّلُ هذا المفهومُ (اي بعد الله عن وقربه من الخليقة) اختلافاً فيْ الصورِ والأفكار، وتباعداً لا يمكنُ التوفيقُ بينه، لذا منَ المفضّلِ عدمَ التعرّضِ لهُ. ويحلُّ البعضُ هذه المعضلةَ عنْ طريقِ إنشاءِ إلهٍ يُناسبُ رغباتِهم الخاصّة. وهكذا يُنتجُ أصحابُ البدعِ ترجمةً جديدةً ومشوّهةً للكتابِ المقدّسِ، بينما توجدُ أمثلةٌ في عدد من المدارسِ الكاثوليكيّةِ التي ترفع الصلاة خطأً "للاله الأب-الأم". أيُّ شيءٍ سوى الحقيقة. يحذرنا القديس يوحنا الذهبيّ الفم بقوله: "عندما يثقُ العقلُ البشريُّ الضعيفُ في نفسه، يستبدلُ أغربَ السخافاتِ بالمفاهيمِ الإلهيّةِ العُليا".

بالنسبةِ لنا، لا يُمكنُ العثورُ على الإجابةِ عنِ معضلةِ الرّفعةِ والزمان، والاختلافِ والقرب، في التشويهِ اللاهوتيّ أو الليتورجيّا المعصرنة، ولكنْ بشكلٍ موثوقٍ في شخص. إنّهُ منْ خلالِ الميلادِ الإلهيّ، ودخولِ الكلمةِ المتجسّدِ في هذا العالم، تُصبحُ الشكوكُ البشريّةُ بما يخصُّ اللهُ بدونِ جدوى. عندما ندخلُ كنيسةً بيزنطيّة، نجدُ أنَّ أيقونةَ الضابطِ الكلِّ المرتفعةَ فيْ القبّةِ فوقنا، وأيقونةَ الطفلِ الصغيرِ المتشبّثِ بأمّه، تكشفانِ عنِ الشخصِ الواحدِ نفسِه.

عنْ هذا الكلمةِ الأبديّ، الذي هوَ الحكمةُ وقوّةُ الله، كتبَ القديسُ يوحنا اللاهوتيُّ فيْ مقدّمةِ إنجيله: "الكلمةُ صارَ جسداً، وحلَّ فيْ ما بيننا" (ἐσκήνωσεν)، أي حرفيًّا "نصبَ خيمتَه" في ما بيننا. لمْ يكنْ مجيئهُ زيارةً ليليّة، بلْ جاءَ للإقامة، ليكونَ واحداً منَّا (يوحنا 1: 14). إيمانوئيلُ أيْ اللهُ معنا أصبحَ مثلنا فيْ كلِّ شيءٍ ما عدا الخطيئة (عب 4: 15).الرسالةُ الأساسيّةُ لعيدِ الميلادِ هيَ أنّنا لسنا وحدَنا في هذه الحياة.

بالنسبةِ لأولئكَ الذينَ يتمسّكونَ بشكلٍ ثابت "بالإيمانِ الْمُسَلَّم للقدّيسِينَ" (يهوذا 3:1)، فإنَّ المغارةَ فيْ بيتَ لحم هيَ، فيْ الواقعِ، المكانُ الذيْ تتلاقى فيهِ السماءُ والأرض، والمكانُ الذيْ يلتقي فيهِ الزمنُ والأبديّة. والنورُ الذيْ يحيط بالرعاةِ فيْ بيتَ ساحور ينيرُ الكونَ كلَّه، والنجمُ الذيْ قادَ المجوسَ يستجمعُ كلَّ البشريّةَ على مرِّ العصور.

إخوتِي وأخواتِي الأعزّاء،

لقدْ قيلَ إنَّ العالمَ الذيْ نعيشُ فيهِ لا يختلفُ بشكلٍ ملحوظٍ عنِ العالمِ فيْ القرنِ الأوّل الميلادي. "وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ... لأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ عدّة" (متى 24: 6–7). ومعَ ذلك، فإنَّ الفرقَ الأكثرَ وضوحًا في عصرنا هوَ بالتأكيدِ قوّةُ وسائلِ الإعلامِ والنقلِ الفوريّ للمعلومات، وللأسف البعض منها معلوماتٍ خاطئة، أو حتّى أسوأ منْ ذلك، استعمالُ الأسلوبِ الماركسيّ في نقل المعلومات أيْ ارسال المعلوماتُ المُضلّلة.

لا يمرُّ يومٌ دونَ أن تقع أمام أعيننا أو على مسمع من آذاننا سخافاة وافكار غير منطقية. ولا يقتصرُ هذا الأمرُ على التناقضِ أوْ رفضِ القيمِ المسيحيّةِ بشكلٍ منتظمٍ باعتبارها غير لائقة، بلْ يتمُّ تقديمُ البدائلِ غيرِ المنطقيّةِ وغيرِ المدعومةِ بالحجج أوْ غيرِ الصحيحةِ كحقائقٍ مطلقةٍ يتمُّ تلقّيها بحماسةٍ تامّة من قبل المجتمعات. هناكَ حملةٌ مكشوفةٌ لإسكاتِ أيّ معارضةٍ لهذه الأفكار بأيّ وسيلةٍ متاحةٍ، وفيْ أغلبِ الأحيانِ معْ احترامٍ قليلٍ للحقيقة. إنّنا نعيشُ فيْ زمنٍ لا تعرضُ فيهِ الأقليّةُ اهتماماتِها وشؤونها فقط، بصرفِ النظرِ عنْ صحّتِها أوْ شرعيّتها، بلْ تعمل بجهد لفرضها على الأغلبيّة.

ونحنُ نحتفلُ بعيدِ الميلاد، ويلوحُ فيْ الأفقِ اختتامُ عامٍ آخر، سيكونُ منَ المفيدِ جدًّا أنْ نأخذَ بعينِ الاعتبارِ نوعَ المجتمعِ الذي نرغبُ العيشَ فيه؛ والأهمُّ منْ ذلك، بالنسبةِ لأولئكِ الذينَ لديهمْ أطفالٌ وأحفاد، هوَ نوعيّةُ المجتمعِ الذيْ نرغبُ فِي تحقيقهِ لهم.

السؤالُ دائمًا هوَ منْ أينَ نبدأ. التدابيرُ الأولى والأكثرُ إنتاجيّةً التي نتّخذُها يجبُ أنْ تكونَ فيْ بيوتِنا وبينَ عائلاتنا. منَ الجيّدِ أنْ نتذكّرَ أنَّ الكنيسةَ الجامعةَ هيَ فيْ الأساسِ مجموعُ عددٍ لا يُحصى منَ الكنائسِ المحليّة، وأعدادٍ كبيرةٍ منَ العائلات، والمجتمعاتِ والأمم، التيْ تنتميْ إلى ما يسمّيهِ القدّيسُ بولسُ "أهلَ الإيمان" (غلاطية 10:6).

فيْ عامِ 1986، قالَ البابا القديس يوحنا بولس الثاني: "... معْ ذهابِ العائلة، هكذا تذهبُ الأمّة، وهكذا يذهبُ العالمُ كلّهُ الذيْ نعيشُ فيه". ومنَ الواضحِ أيضاً، أنَّ ذهابَ العائلةِ يؤدّيْ إلى ذهابِ الكنيسة. لقدْ ولّتِ الأيّامُ التيْ كانَ بوسعِ الآباءِ والأمهاتِ فيها تركَ تعلّمِ التربيةِ الدينيّةِ لأولادهمْ بشكلٍ حصريّ للرعيّةِ أو المدرسةِ الكاثوليكيّةِ المحليّة. إذا أردنا أنْ يعرفَ أولادُنا الكاثوليك أو الأرثوذكس يسوعَ المسيح، ربَّنا ومخلّصَنا، فإنَّ هذهِ المعرفةَ يجبُ أنْ تبدأَ فيْ البيتِ وتُرعى فيْ البيت.

الكنيسةُ المحليّة، فيْ أيّ رعيّةٍ ملكيّةٍ نعيشُ فيها، ليستْ بُنيةً معزولة، نسافرُ إليها كلَّ يومِ أحد فقط، بعدَ خروجنا منْ منازلِنا. إنّما بيتُ العائلةِ هوَ رواقُ الكنيسة.

فيْ عيدِ الميلادِ الإلهيّ، تحملُ والدةُ الإله، أمُّنا المباركة، بينَ يديها الكلمةَ الأبديّ الذيْ لا تسعهُ السماوات. تنظرُ بحبّ لا يوصفُ إلى الذِي صُنعتْ منْ خلالهِ كلُّ الأشياء. هذهِ الحقيقةُ تفوقُ فهمَنا.

فيْ القداسِ الإلهيّ الذيْ نحتفلُ بهِ فيْ هذا العيدِ المبارك، ونحنُ نقتربُ منَ القربانِ المقدّس، دعونا نطلبُ منْ والدةِ الإلهِ أنْ توجّهَ نظرَنا نحوَ ابنِها، الحاضرِ على المذبح، كمَا قُدّمَ بالحقيقةِ إلينا وإليها فيْ مغارةِ بيتَ لحم، وحملتهُ مقرّبةً إيّاهُ إلى قلبِها.

نرجو أنْ يكونَ هذا الموسمُ المقدّسُ لكلّ أسرة، ولكلّ عائلةٍ ولكلّ شخص، وقتَ السلامِ الذيْ هوَ أثمنُ هديةٍ معطاةٍ لنا منَ المولودِ فيْ بيتَ لحم.

معَ بركتي الأبويَّةِ وصلاتي،

✠ المطران روبير ربَّاط

صدَرَ عن كرسيِنا في غرين إيكر، نيو ساوس وليز
بمناسبةِ الميلادِ الإلهي، 2018